

شخصيات غيرت التاريخ

خير الدين بربروس... قواد العثمانيين للسيطرة على البحر المتوسط

اتجه الأخوان عروج وخير الدين إلى الجهاد البحري يدافع من أمهما الأندلسية وحققوا عدة انتصارات على القراصنة الصليبيين الذين كانوا يستولون على سفن المسلمين وأسروهم، فأثارت هذه الانتصارات إعجاب السلطان «الحفص»، فأعطاهما حق الإقامة بجزيرة «جوبة»، التونسية فزادت شعبيتهما واستجار بهما الأهالي للتصدي للهجوم الإسباني، واستطاع الأخوان تحرير «بجاعة»، كما استطاع عروج بين عامي 1504 و1510م انقاذ الآلاف من مسلمي الأندلس، ونقلهم إلى شمال أفريقيا، واستطاع تحرير الجزائر ثم تلمسان من الإسبان، وأعلن نفسه حاكماً على الجزائر، ووسع دولته حتى بلغت تلمسان.



اليه باعادة تنظيم الأسطول، ثم وكل اليه مهمة ضم تونس الى الدولة العثمانية، قبل أن يتمكن السلطان الإسباني شارل الخامس من الاستيلاء عليها. اتجه بربروس إلى تونس، على رأس 80 ألف جندي، وأعلن تبجيلها للدولة العثمانية سنة 941هـ - 1534م. وقرر السلطان سليمان الأول تعيين بربروس وزيراً للبحرية العثمانية. ومن أشهر الحملات البحرية التي قادها

بربروس، معركة «بروزة» أو «بريفيزا»، لوقوعها بالقرب من ميناء بريفيزا غربي اليونان بالبحر المتوسط، والتي حشدت لها أوروبا استجابة لنداء البابا في روما، فتكون تحالف صليبي من 600 سفينة، تحمل 60 ألف جندي، ويقوده قائد بحري من أعظم قادة البحار في أوروبا هو «أندريا دوريا»، وتشكلت القوات العثمانية من 122 سفينة، تحمل 22 ألف جندي.

وقام بربروس بالتشاور مع قادة أسطوله حول خطط مواجهة التفوق العددي للأسطول الأوروبي، وكان رأي القادة انتظار الأسطول ومواجهته على الساحل، بينما رأى بربروس بخبرته أن هذا سيفقد الأسطول العثماني مبدأ المبادرة، وكان رأيه الحاسم أن الحرب البحرية تكون في البحار المفتوحة ولا تكون في الساحل، وأن المدافع بعيدة المدى ستفقد تفوقها عند زيادة اقتراب سفن العدو، فابتعد بربروس بأسطوله عن ساحل بروزة مسافة تسعة كيلو مترات، وقام بتنظيم أسطوله على شكل هلال.

التقى الأسطولان في 28 سبتمبر 1538م - 945 هـ، وياغت بربروس الأسطول الأوروبي وقام بالمانورة بأجنحة أسطوله واستغلال بعد مدى مدافع الحارقة لضرب أسطول أندريا في مقتل، وأدى عدم مقدرة السفن الصليبية على الاستدارة إلى الهزيمة. ظهرت نتيجة المعركة بعد خمس ساعات بهروب قائد الأسطول «أندريا»، خوفاً من الأسر أو القتل، وتكبد خسارة، منها تدمير 13 سفينة.

أثار هذا الانتصار الفزع والهلع في أوروبا، وأعاد للبحرية العثمانية هيبتها في البحر المتوسط وأمن لها السيطرة لمدة 33 عاماً. توفي خير الدين بربروس في إسطنبول في العام 953هـ - 1546م عن 65 عاماً في قصره على مضيق البوسفور بالآستانة.

وتحالف الأخوان خير الدين وعروج مع العثمانيين سنة 920هـ، فقد كانا في حاجة لأسلحة وسفن، وشعر العثمانيون بأهمية الجهاد البحري ضد صليبي إسبانيا والبرتغال لتهديدهما المسلمين في الخليج العربي والهند بعد احتلال البرتغاليين لعدن ومدن أخرى في جنوب الجزيرة بنية التوجه للامان المقدسة. كان الإسبان يحتلون «تلمسان»، ويعملون على إثارة الفلالا فقرر الأخوان بربروس وعروج تحرير المدينة واعداد جيش كبير سنة 923هـ للمهمة ونجحا في السيطرة على المدينة إلا أن الإسبان تمكنوا من استعادتها، وأثناء الحصار استشهد «عروج»، وخلفه أخوه الأصغر بربروس.

تنظيم الأسطول
شعر أهل الجزائر بخطر الموفق، وقرروا إرسال رسالة للسلطان سليمان الأول يطلبون فيها إخضاع الجزائر للسيادة العثمانية، وتعيين «خير الدين» قائدا عليهم، وإعلان الجهاد بالبلاد ضد الإسبان والبرتغاليين، فاستجاب السلطان وعين خير الدين وعهد

الشافعي صاحب أصول الفقه والاستنباط

عالم حافظ للقرآن والحديث وجامع الصحابة متقن للغة العربية وعلومها وأدائها، صاحب مذهب، ولد في عام 150 هـ وهي السنة التي توفي فيها الإمام أبو حنيفة النعمان. هو محمد بن ادريس بن العباس بن شافع، يطلق عليه في مصر «قاضي الشريعة»، على الرغم من أنه لم يكن قاضياً بها، جاء لمصر وعمره خمسون عاماً، ومجرد وصوله بحث عن آراء وفقه الإمام الليث. أترك الشافعي في شبابه بائعاً في حاجة إلى زاد لغوي كبير وتقمع عميق للمعاني وأسرار التراكيب اللغوية، ونفذ نصيحة الإمام الليث أن يذهب للبادية فيتعلم كلامهم ويحفظ شعرهم. مكث في هزيل عشر سنوات وعاد يجلس إلى حلقات شيوخه في المسجد الحرام، واكتمل له العلم بالقرآن والحديث وأثار الصحابة، إضافة إلى الثراء اللغوي والنزق الأدبي، ونصح أحد شيوخه بأنه أن له أن يفتي، ولكنه تهب لصغر سنه. قرر الشافعي أن يرحل وهو في العشرين من عمره لينهل من فقه المدينة وهناك لزم الإمام مالك، وذهب للعراق، حيث درس فقه الإمام الراجل أبي حنيفة من تلاميذه بالكوفة وبغداد، وفقه الأوزاعي بالشام، والإمام الليث بن سعد بمصر.

ورحل إلى الكوفة وهو في الثانية والعشرين، وكتب ما سمعه من فقه الإمام أبي حنيفة، ثم طاف ببلاد فارس ثم ديار ربيعة ومصر، ثم بغداد والأناضول وحران وبلاد الشام ثم مكة، وعاد بعد عامين إلى المدينة وقد تزود بالكثير من العلوم.

في عام 184 هـ عاد الشافعي إلى بغداد وقد تعلم ألا يزعج بنفسه في الصراعات السياسية، وفي بغداد أثرت الحياة الفكرية عليه مما منحه ثراء كبيراً بمحاولاته مع محمد بن الحسن، وكانت مثالا لأدب المناظرة، وقد أقام فيها عواماً قلائل ودافع عن أهل الحديث، وأفاد من أهل الرأي، ودرس فقه العراق، فاجتمع لديه علم أهل الحديث المتمثل في فقه الحجاز وعلم أهل الرأي في العراق. عاد إلى مكة يلقي دروسه في الحرم المكي، وظل الشافعي يفقه هو مزيج بين الفقهاء الذين تعلمهم في المدينة والعراق، إضافة إلى خلاصة عقله، وانتهى إلى وضع أصول الاستنباط، ثم سافر إلى بغداد في العام 195 هـ، وألف كتاب «الرسالة»، وضع فيه الأساس لعلم أصول الفقه، وكان الشافعي قد أعاد كتابته في مصر التي وصل إليها عام 199هـ.

كان صاحب مذهب في الفقه قبل قدومه مصر، وبعد فترة قصيرة غير كثيراً من آرائه وأعاد كتابة كتبه، وعرف آراء جديدة للامام علي بن أبي طالب لم يطالع عليها من قبل.

انتهى الإمام من إعادة صياغة كتبه وتصحيح آرائه على أساس ما شاهدته من الفهم العميق لروح الشريعة الإسلامية ومظاهر الحضارة والتزاوج بين الأسلام والحضارات الأخرى، وأعلن أن آراءه ليست إلا التي كتبها في مصر، أما كتبه السابقة، فلا يريد أن ينسبها أحد اليه، وقال أحمد بن حنبل «خذوا عن أستاذنا الشافعي ما كتبه في مصر».



شهر الفرقان

المتنى بن حارثة يهزم الفرس في معركة البويب

كان رستم يعلم أن ذلك النصر لن يقدم الكثير، لذا قرر وحشد أقوى الأسلحة وهو سلاح الفرسان، وجعل على قيادته «مهرا بن باذان»، والعجيب أن مهرا بن باذان الذي يعتبر من أمهر قادة الفرس هو ابن الصحابي «باذان»، الذي دخل في الإسلام، وأبلى في حروب الردة.

في المقابل أحدثت نكسة في الجسر حالة من الإتهام النفسي لدى المسلمين، إلى أن حدثت بعض المناوشات بين المتنى وقادة الفرس، واتجهت القوات الإسلامية تواصل الجهاد. عبأ المتنى جيشه وأمرهم بالانطلاق ليتقوا على عدوهم فأقروا، وطاف بين الصفوف وهو على فرسه، فجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء والقبائل يحرضهم ويرفع معنوياتهم، ويحثهم على الجهاد والصبر، ويثني عليهم بأحسن ما فيهم، فاجتمع الناس عليه. أن المتنى لجيشه بالالتحام

منذ أن رفعت راية الجهاد على الجبهة العراقية في بداية السنة الثانية عشرة من الهجرة على يد خالد بن الوليد، خاض المسلمون معارك متقاربة في التوقيت، حققوا النصر فيها كلها، وكان لهذه الانتصارات أثر كبير على الفرس.

وأما ذلك اجتماع «رستم» قائد الفرس مع قادة جيوشه في كيفية تحقيق النصر على المسلمين، ورأى أبو عبيد أن يعبر الفرات، وتركهم الفرس حتى تكامل عبورهم، وهجموا بكل قواتهم، خاصة الفيلة، فنشرت خيل المسلمين، واستشهد أبو عبيد، وتسلم الراية المتنى بن حارثة، وحاول تصحيح الوضع فسارع رجل متهور إلى الجسر فقتله، وركز الفرس هجومهم فوق الاضطراب في صفوف المسلمين، وانتهت المعركة باستشهاد أربعة آلاف، وأدى الخطا العسكري في معركة «الجسر» لهزيمة المسلمين.

فيه شفاء للناس

عسل النحل ... آية الذين يتفكرون



يقول الله جل شأنه في كتابه العزيز: «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون × نَحْ كُلِي مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجْ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ لَوَاقِهٍ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»، «سورة النحل: الآيات 68 - 69».

ذلك أحد وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حيث ثبت أن وصف القرآن لعسل النحل بأن فيه شفاء للناس، وهو حقيقة علمية أثبتتها التحاليل لهذه المادة، والتي كشفت عما تتمتع به من خواص مضادة للجراثيم. ومن بين هذه التجارب ما قام به عالم غربي يدعى «ساكيت»، الذي قام بزراعة جراثيم في مزارع من العسل الصافي، وقد أذهلت النتيجة التي حصلت عليها، فقد ماتت غالبية هذه الجراثيم.

ويقول الباحث المتخصص في الطب النبوي د. محمد تزار الدقر في كتابه «العسل»: إن الأبحاث الحديثة تجمع كونه طعاماً لخلها الجسم على اعتبار عسل النحل من أهم المواد الفعالة في علاج فقر الدم، وقد استخدم عدد من أطباء الغرب العسل في علاج بعض الأمراض، مثل «جولومب» الذي عالج

ابن سبأ يزرع الفتنة لاقتلاع الدولة الإسلامية مقتل عثمان على أيدي الجهلة

تعرض المسلمون الأوائل لكل أنواع الإهراء والتعذيب والقتل والتشريد، وكانت نهاية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على يد الإهراء أبي لؤلؤة الموسوي، ولم يتوقف تعرض المسلمين لكل أنواع المكائد والفتن، بعدما تولى عثمان بن عفان الخلافة، رغم أنه كان أجود أهل زمانه وأكثرهم حياة ونبلا، وتزوج رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما توفيت تزوج بأم كلثوم لذلك سمي ذو النورين، لم يصل أحد لدرجته في الإنفاق، فلقد اشترى بثئر رومة في المدينة لسقيا المسلمين، وجهز جيش العمرة وكان أول من صنع طعاماً للفراء في رمضان، بما يعرف حديثاً بموائد الرحمن، وحدثت في عهده الفتوحات الإسلامية العظيمة، فقد فتحت بلاد فارس حتى تركستان وبلخ وكرمان وسجستان، وفتحت أذربيجان وأرمينية، وفي الشام وصل المسلمون إلى عمورية «أنقرة اليوم»، وفتحت قبرص، وتم إكمال فتح مصر وأنهت السيطرة الرومية على البحر المتوسط الذي كان يسمى بحر الروم، وأصبح بحر العرب.

طور المجتمع الإسلامي نتيجة الفتوحات، وكثرت الأموال والسيابا، وبدا المجتمع يودع حياة البداوة، وطرات طوائف جديدة وتعددت القوميات، وكان لهذا التطور الأثر الكبير في تهيئة المجتمع لحدوث الفتنة. ظهر عبدالله بن سبأ من أصل يهودي، وكانت أمه جارية، ولقب بابن السوداء، تعلم الكثير عن المسيحية، وأراد أن يعلن في الإسلام، وبدأ بالتفكير في نشر الفتنة، فدخل في الإسلام ظاهراً وقام بنشر الفتن ليقويض أركان الدولة قال إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق وأخذ يكاتب الناس ويضع في أمراء الأصنام، وتم اتهام عثمان بالميل إلى أقاربه وتقليدهم للمناصب، وبدأ ينتقل في البلاد حتى ينشر الأفكار السامة، ووصل إلى مصر، التي وجد فيها مناخاً مناسباً لأفكاره.

روؤس الفتنة
أراد روؤس الفتنة أن يشعلوا الأمر أكثر، حتى يجتثوا الدولة الإسلامية من جذورها، فبدأوا يكتفون الطعن على عثمان، ويكتفون المطاعن المكتوبة ويرسلونها إلى الأقطار موقعة بأسماء الصحابة. كثرت الإشاعات والوشايات حتى وصلت إلى مقر الخلافة، أرسل عثمان إلى الولاة يأمرهم بالقدوم، للتشاور في شأن هذه الأخبار، وأرسل سفراء للتحقق منها، فعاد الجميع بصلاحي الأحوال واجتمع مع ولاته وتشاور معهم في كيفية التعامل مع «النوار»، ورفض إراقة قطرة دم واحدة واصطاح مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها وبعد الصلح وعودة أهل الأمصار راضين تبين لمشعل الفتنة أن خطتهم فشلت، لذا خططوا فيما بينهم وتدمير الصلح. أثناء عودة أهل مصر، رأوا رايكاً على جمل يتعرض لهم، فقبضوا عليه، فقال أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بكتاب على لسان عثمان، فيه أمر بصلبهم أو قتلهم، فرجعوا إلى المدينة ونفى عثمان أن يكون كتب هذا الكتاب، فلم يصدقوه.

حاصروا داره
حاصر النوار دار عثمان ومنعوا عنه الطعام والشراب والصلاة في المسجد جهماً على بيته، ثم تسلقوا الأسوار، ودخل أبناء الصحابة، وطلبوا أن يسمح لهم بالدفاع عنه، فأقسم أن يكفوا أيديهم، وأن ينقلوا إلى منازلهم، وقام كنانة بن بشر، وكان من روؤس الفتنة بحرق باب البيت، ودخل ومعه بعض الرجال، وكانوا مجموعة من الأوباش الجهلة المجتمعين من مصر والعراق ثم دخل رجل يسمنه الموت الأسود، فخلق عثمان حتى ظن أنه مات، ودخل كنانة بن بشر، وحمل السيف، وضربه به، فأنقاه بيده فقتلها، وتقاطر الدم على المصحف، فحمل عليه وضربه بعود على رأسه، فخر على جنبه، وهم الملعون بالسيف ليضربه في صدره. قتل المجرمون عثمان، ثم هبوا أن يقطعوا رأسه أخذوا ينهون ما في بيته وتوجهوا إلى بيت مال المسلمين، واستطاعوا الاستيلاء على أموال كثيرة.